إتمام الحجة على المكفِّرين
من العلماء والمشايخ كلهم أجمعين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد.. فإني قد سمعتُ أنكم أيها الإخوان كفّرتموني، وكذّبتموني وحسبتموني مفتريا، وناضلتموني حتى نُثلَت الكنائنُ، وتبيّنَ الحق وظهر الأمر الكائن، ولكن ما ركدتْ زعازِعُكم، وما أخذتْكم هيبةُ الحق، بل جُزْتم عن القصد جدًّا، وحسبتم الحق شيئا إِدًّا، وكنتم على قولكم من المصرّين.

فلما ارتبتم في أمري وصرتم قرينَ الخنّاسِ، ونَجِيَّ الوسواس، توجّستُ ما هجَس في أفكاركم، وفطنت لما بطن من استنكاركم، فصنّفتُ كتبًا قد حسُن ترتيبها، وصُفِّفَ فوجُ تَعاجيبها، وجمعتُ على التحقيق صفاء الدُرّ، وسَكَرَ الرحيق، وقُنُوء العقيق، وكان فيها إزعاجُ أوهام المتوهمين، وعلاجُ نزغات الشياطين، وإصلاح نزوات المفسدين، وبيان إعنات الباغين، ومعاناة الطاغين، ومعاداة العادين، وحِيَل المحتالين، وسطوة الجائرين، وكيد الكائدين، مع كثير من الدلائل والبراهين. وكانت أسماؤها: [١] "فتح الإسلام"، [٢] و"توضيح المرام"، [٣] و"إزالة الأوهام"، [٤] و "مرآة كمالات الإسلام".

ولكنكم ما رأيتم وتعاميتم، وكفّرتم داعيَ الله وعصيتم، وكنتم قوما عادين. وأصررتم على إنكاركم حتى انتهى أمركم إلى تكفير المسلمين ولعن المؤمنين، وكذّبتم أسرارًا لم تحيطوا بها، وعنّفتموني على ما لم تعلموا حقيقته، وكنتم تضحكون عليّ مرتاحين. وكم من دلوٍ أدليتُها إلى أفهاركم، لعلّي أجد قطرة من علمكم وأخباركم، ولكنها لم ترجع ببُلّة، ولم تجتلب نَقْعَ غُلّة، وما زادني سُؤْلي منكم غيرَ يأسٍ وقنوط ودُرَخْمين. فاسترجعتُ على انقراض العلم ودروسه، وأفولِ أقماره وشموسه، وذرفتْ عيناي على حال قوم فيه تلك العلماء الذين هم معروق العظم، والمبعَّدون من أسرار الدين. ومع ذلك وجدتُ كل واحد منكم سادرًا في غلوائه، وسادلاً ثوبَ خيلائه، ومُفارِقًا من أرجاء حيائه، ومن أكابر المفسدين.

فلما انسرتْ جلبابُ خَفْركم، وأماطت جذباتُ النفس خضراءَ قَفْرِكم، وتواترتْ ريحُ دَفْرِكم، فهمتُ أن النصح لا يأخذ فيكم، ولا ينفعكم قولُ ناصح كما لا ينفع المتمردين. فتأوّهتُ آهةَ الثكلان، وعيناي تهمُلان، ودعوتُ الله أيامًا، سُجَّدًا وقيامًا، وخررت أمام حضرته، واستطرحت بين يديه، مبتغيًا إليه أذيال وسيلته، ورفعتُ صرخي كعقيرة المتألمين.

فرأى الله بُرَحائي، واعتداءَ أعدائي، وقلّةَ أخلّائي، وبشّرني بفتوحات وآيات وكرامات، ومَنَّ عليَّ بتأييده المبين. فمنها ما وعدني ربي في عشيرتي الأقربين، أنهم كانوا يكذّبون بآيات الله

وكانوا بها يستهزئون، ويكفرون بالله ورسوله، وقالوا لا حاجة لنا إلى الله ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله خاتم النبيين. وقالوا لا نتقبل آية حتى يُرينا الله آية في أنفسنا، وإنّا لا نؤمن بالفرقان، ولا نعلم ما الرسالة وما الإيمان، وإنّا من الكافرين. فدعوتُ ربي بالتضرع والابتهال، ومددتُ إليه أيدي السؤال، فألهمَني ربي وقال سأريهم آية من أنفسهم، وأخبرَني وقال إنني سأجعل بنتًا من بناتهم آية لهم، فسمّاها وقال إنها ستُجْعَل ثيّبةً، ويموت بعلُها وأبوها* إلى ثلاث سنة من يوم النكاح، ثم نردها إليك بعد موتهما، ولا يكون أحدهما من العاصمين. وقال إنّا رادّوها إليك، لا تبديل لكلمات الله، إن ربك فعّال لما يريد. فقد ظهَر أحد وعديه، ومات أبوها في وقت موعود، فكونوا لوعده الآخر من المنتظرين. فتأملوا في هذا تأمُّلَ المنتقد، وانظروا بالمصباح المتّقد، هل هو فعلُ الله تعالى أو كيد المفترين؟ وهل يجوز أن يستجيب الله دعاءَ ملحد كافر كما يستجيب دعاء المقبولين؟ وكيف يخفى أمرُ رجل يُميتُ اللهُ لأجل إعزازه وإجلاله رجُلَين، ويجعله في أنبائه الغيبية من الصادقين؟ إن الله لا يُظهِر على

* واسم بعلها سلطان محمد ابن محمد بيك، ومحمد بيك ابن نظام الدين، واسم عم بعلها محمود بيك، وهم سكان قرية منحوسة المسماة "فتّى" في ضلع لاهور. واسم أبيها مرزا أحمد بيك، وتُوُفِّيَ بعد إلهامي هذا في ميعاد الإلهام. وأما بعلها سلطان محمد فحَيٌّ، وبقِي من ميعاد موته قريبا من السنة. ربنا افتَحْ بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. منه. ١صفر سنة ١٣١٠هـ.

غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسولٍ الذي أرسله لإصلاح الخلق في زيّ الأنبياء والمحدَّثين.

ومنها ما وعدني ربي واستجاب دعائي في رجل مفسد عدو الله ورسوله المسمى ليكهرام الفشاوري، وأخبرني أنه من الهالكين. إنه كان يسبّ نبيَّ الله ويتكلم في شأنه بكلمات خبيثة، فدعوتُ عليه، فبشّرني ربي بموته في ستّ سنة، إن في ذلك لآية للطالبين.

ومنها ما وعدني ربي إذ جادلَني رجل من المتنصرين الذي اسمه عبد الله آتهم العنبرسري، إنه كان أراد أن يشدّ جبائر الحِيَلِ على دين النصارى، ويواري سَوْءَتَه، فصال على الإسلام وكان من المتشددين. وباحَثَني في حلقة مغتصّة بالأنام، مختصّة بالزحام، وزخرفَ مكائده لإرضاء الكافرين. فثنَيتُ إليه عِناني، وأبثثتُه من معارف بياني، وجعلته من المفحَمين. فما وجم مِن قلّة الحياء، وكان يجمَح في جهلاته ويسدَر في الغلواء. وامتدّت المباحثة إلى نصف الشهر، وكنا نغدو إليه بعد صلاة الفجر، ونرجع في وقت الهجير عند اشتداد حرّ الظهيرة، وتركنا الاستراحة كالمجاهدين. فبينما أنا في فكر لأجل ظفر الإسلام وإفحام اللئام، فإذا بشّرني ربي بعد دعوتي بموته إلى خمسة عشر أشهر من يوم خاتمة البحث، فاستيقظت وكنت من المطمئنين. ثم جئناه واجتمعت الحلقة، وحضر الخاص والعام، وأُحضِرت الدواة والأقلام، فما لبثتُ أن قعدتُ وأنبأتُ مِن كل ما أُخبِرتُ من رب الأرباب، وأمليتُه في الكتاب، ثم ارتحلت من دار

غربتي، وحسبت ذلك البحث أفضل قُربتي، وحسبت ذلك النبأ نعمة من نعماء رب العالمين.

فتفكروا عافاكم الله ولا تعجلوا في تكفيري، ولا تسُبُّوا ولا تقذِفوا، وإن كنتم في شك فانتظروا هذه الأنباء المذكورة، فإنها معيار لصدقي وكذبي. وإن لم تنتهوا فقد تمّتْ عليكم حجّة الله وحجّتي، ولن تضرّوني شيئا، وستُسألون عند مالك يوم الدين. وإن تتوبوا وتتقوا فالله لا يُضيع أجر المحسنين.